٣ ـ سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

المجموعة الحامية النيلية

البادى

يسكن جنوبى منطقة الدنكا أى (فى أعالى بحر الجبل) عدة قبائل تتكلم اللهجة البادية نسبة إلى شعب البادى ، وهم بعض الشبه من شعب الدنكا ، ولا بد أنه حصل اختلاط فى المنطقة التى يسهل أن يحتك فيها الدنكا بالقبائل البادية خصوصاً فى المجموعة المسماة الشير ، ومع ذلك فهم ليسوا زنوجاً نيليين ، وهم وإن كانوا ثقافة ولغة وجنساً يتبعون النصف حاميين فى شرق افريقا لتغلب العنصر الحامى فى تكوينهم إلا أنهم يعتبرون ضمن مجموعة قائمة بنفسها وهى (المجموعة الحامية النيلية)

ويمكن تمييز نوعين من الجماعات التى تتكلم اللهجة البادية : جماعة شرق بحر الجبل ، وجماعة غربه . والمجموعة الشرقية تنقسم إلى عدة قبائل ، ويظهر أنهم كانوا يتبعون النظام الطوطمى لوجود بقاياه فى بعض القبائل ، إذ يعتقدون بانتقال روح الميت إلى حيوان مخصوص عندهم

والرجل الذى يقوم بعملية لإستنزال المطر هو رئيس القبيلة ، ومركزه يختلف عن مركز الرئيس الروحانى عند الزنوج النيليين ، فاذا أخفق فى استنزال المطر فانه يذبح فى الحال ، ويدور البحث عن غيره ليحل محله . كذلك يوجد عدة رؤساء يطلق على كل منهم اسم (صاحب الأرض أو الأب) ، وهو اسم يعطى لكل من جهز قطعة أرض وزرعها ، وكذلك يمنح هذا الاسم لخلفه ؛ وينحصر عمل هذا الرئيس فى القيام ببعض التعاويذ والسحر عند بذر الحبوب واثناء نمو النبات وقبل عملية الصيد ؛ ولهذا الرئيس مقام محترم بين البادى إذ بدونه يفشل الصيد والزرع

وحفلة استنزال المطر تعتبر من المظاهر الممتازة بين البادى ؛ وتجرى هذه الحفلة على النحو الآتى : يحضر الرئيس قطعاً من حجر الكوارتز بعضها أبيض اللون والبعض الآخر أخضره ، ثم يضعها فى إناء ، وبعد غسلها يضعها على صخر كبير يسمى صخر المطر Rain Store وهو بقايا آلة قديمة لطحن الحبوب . ثم يلطخ الحجر بزيت السمسم ، ثم يذبح عنز أسود بجوار هذا الحجر ، ويأكل الرئيس ومساعدوه وبعض الشيوخ من لحمه ، ثم تؤخذ بقايا الغذاء الذى فى معدة العنز وتوضع أيضاً على هذا الحجر ، ثم يأتى المطر بعد ذلك . وكثيراً ما تجرى هذه الحفلة بجوار مقبرة شيخ مطر قديم أو بعض الأماكن المقدسة التى تنتمى اليه

اللوتوكو

ولهجة اللوتوكو تتكلمها القبائل الآتية : (١) اللوتوكو (٢) الكويا (٣) اللنجو . ويلاحظ فى هذه القبائل الثلاث أن الرأس طويل ، أما القامة فقامة اللوتوكو أطول منها فى القبائل الأخرى بمقدار بوصتين . وهم ينقسمون إلى قبائل طوطمية ، وأهم مظهر للطوطمية عندهم هو أن كل فرد بعد موته تنتقل روحه إلى الحيوان الذى تقدسه القبيلة ؛ فهناك قبيلة تقدس التمساح ، وأخرى تقدس القرد ، وثالثة تقدس الفيل ، ورابعة تقدس النمل الأبيض ، وخامسة تقدس الثعبان وهلم جرا ؛ وأقوى هذه القبائل هى التى تقدس التمساح ، ومنها ينتخب الرؤساء الذين يقومون بحفلة استنزال المطر ، ويستعملون فى هذه الحفلات حجر المطر السابق ذكره Rain Stone ؛ كذلك يستعملون بعض الحراب المقدسة كمساعد ، والمياه التى توضع فيها هذه الحراب تحضر من بركة مقدسة يعيش فيها التماسيح التى تنتقل اليها أرواح أجدادهم رؤساء المطر

ومن عادتهم اخراج عظام الميت بعد دفنه بثلاثة أشهر ، وأحياناً من ثلاثة إلى ستة عند اللوتوكو ، ويعتقدون أن فى ذلك سعادتهم ورفعتهم . كذلك عند موت الميت يسرعون إلى دفنه ، ثم بعد ذلك يقيمون له تذكارا Nametere ينوب عن الميت حيث يقيمون له المراسم الجنائزية المختلفة

المجموعة الزنجية

الانزرى

رؤوسهم متوسطة ، وقاماتهم أقصر من قامة الزنوج النيليين ، ولونهم أفتح من لونهم ، إذ يختلف ما بين لون (الشكلانه) ، ولون بشرة سكان البحر الأبيض المتوسط . وبعض العلماء يعلل ذلك باختلاطهم مع البربر والحامى ، وربما كان هذا الاختلاط مع جماعة الفولانى . ويمكن اعتبار الأزندى من زنوج غرب افريقا ، إذ تظهر عليهم جميع الميزات التى تميز زنوج غرب افريقا

من غيرهم . ومن الصعب التفرقة بين رجل من الأزندى وآخر من سكان افريقا الاستوائية الفرنسية أو نيجريا . كما أن لغة الأزندى خالية من الأثر الحامى ، على حين أنه توجد بها آثار من لغة البانتو ، وهذا يتعدم وجوده فى لغة الزنوج النيليين السابق الكلام عليهم . والأزندى من جهة الثقافة يتبعون غرب افريقيا بعكس الزنوج النيليين الذين يتبعون فى ثقافتهم شرق افريقيا . وهذا يتضح تماما من نظام بناء كوخ الأزندى ومساكنهم وآلاتهم الحربية والموسيقية مثلا

والأزندى عبارة عن عدة قبائل ولهم حكومة مركزية عليا . وهم ينقسمون إلى ولايات مستقلة عن بعضها ، وهى فى حرب دائمة مع جيرانها ، ولكنها جميعها تخضع لملك واحد من أسرة أرستقراطية مالكة ينتخب دائما منها الملوك ، وهذه العائلة المالكة تسمى (الافنجارا) ومنها ينتخب أيضاً رؤساء الادارة والحكومة الذين يساعدون الملك ؛ والملك هو الذى ينتخبهم ويوزع عليهم العمل . والملك وهؤلاء الرؤساء لا يشتركون فى الحروب

ويتلخص النظام الادارى فيما يأتى :

١ — الملك وهو الرئيس العام ويحكم فى العاصمة وهو المرجع الأعلى ويحرم عليه أن يدخل الحرب بنفسه

٢ — مقاطعات أو مديريات يديرها أبناء الملك أو إخوته أو غيرهم من العائلة المالكة ، وكل من هؤلاء مطلق السلطة إلا أنهم مسئولون أمام الملك مباشرة عن حفظ الأمن والعدل كما أن عليهم واجبات نحو الملك ؛ مثلا إذا أراد الملك عملا لبناء منازله أو جندا للحرب فعلى هؤلاء المديرين أن يقوموا بجمع العدد اللازم حسب طلب الملك ، وهؤلاء المديرون لا يدخلون الحرب

٣ — تنقسم كل من هذه المديريات إلى عدة أحياء أو مناطق على كل منها نائب أو وكيل ، وهذا النائب يباشر الأمور المختصة بالعدل بواسطة عقد مجلس يكون هو عضوا فيه يساعده الرجال المعترف بكفاءتهم فى حيه أو منطقته . فاذا ظهر نزاع بين فردين وجب أن تعرض المسألة على نائب الحى أولاً ، فان كان موضوع النزاع بسيطاً حله النائب ، ولكن إذا كانت المسألة معقدة مهمة فان النائب يحولها مباشرة إلى المدير الذى يحكم المديرية ، وهو طبعاً أحد أفراد العائلة المالكة ؛ ولا يمكن عمل استئناف من المدير الى الملك ، لأن المدير مستقل بشؤون مديريته

فاذا أراد الملك أن يعلن حرباً أو يقوم بعمل اقتصادى مهم فانه يرسل فى الحال إلى المديرين يخبرهم بالعدد اللازم ، وعند ذلك يقوم كل مدير بعقد مجلس برياسته يدعو اليه جميع النواب الذين يحكمون الأحياء التى تنقسم اليها مديريته ، ويشاورهم فى العدد الذى يمكن أن يقدمه كل منهم ؛ وهؤلاء النواب يقومون بعد ذلك بجمع العدد اللازم من كل منهم بواسطة قرع الطبول . وبذلك يمكن إرسال العدد المطلوب من الرجال والجنود الى الملك . والملك نفسه يدير مقاطعة فى وسط بلاده وهى بمثابة العاصمة وضواحيها ، ولكنه يستعين بالمديرين فى المسائل القومية المهمة

(البقية فى العدد القادم)

مشرف أحمد صادق

القهوة الجيدة

ليس البن مادة من مواد الترف ، ولا صنفا من الأصناف الكمالية الزائدة على الحاجة ، وإنما هو شيء من الأشياء الضرورية التى لا يجد الانسان عنها محيصا ، واذا كان الافراط فى تعاطى القهوة يؤثر تأثيرا سيئا على ذوى البنية الضعيفة ، فان الاعتدال فيها هو على عكس ذلك لازم لسلامة المزاج وصحة الجسم

إنك حين تتعاطى فنجالا من القهوة تحس كأنك ولدت من جديد ، تشعر أن طاقتك التى زادت أضعافاً مضاعفة تستطيع أن تتغلب على كل متاعبك ، وأن تذهب عنك الضجر فلا تفكر إلا فى مسرات الحياة وملذات العيش

إن فنجالا ساخناً من هذا الشراب المفيد إذا أعد اعدادا متقنا يريح البصر ويقوى الشهية ويبعث فى الجسم شعورا بالغبطة يقدره الغنى كما يقدره الفقير . ولكن القهوة لا تقدم اليك هذه المنافع إلا إذا كانت من بن جيد النوع غير مخلوط بالحمص المقلى والقش المحمص ، وأشهر أنواع البن فى العالم من غير نزاع هو بن البرازيل ، لأنه مزروع على القواعد العلمية ، وتحميصه وطحنه فى القاهرة يجرى على أحدث الطرق الفنية فى مخازن البن البرازيلى فى شارع فؤاد الأول ، ففى هذه المخازن الوحيدة تجد فى كل وقت البن البرازيلى الحقيقى محمصا ومطحونا من أجود نوع وبأسعار معقولة جدا